(المثقف)

ان البحث عن ماهية المثقف . فرضتها في احيان كثيرة ، مستويات الجدل اللامنتهي في تعريف الثقافة . التي عرفها تايلور (Taylor) ووصف هذا التعريف (بالشهير) ، على قول العلامة الاميريكي لوي (Lowy) والذي يعد مؤسس الأنثروبولوجيا الثقافية في امريكا[١].فالمثقف ولد في فضاء معرفي متنام ، وتملكه ادوات الوعي كيفما كانت مرجعيته الثقافية والسياسية والدينية ، فهو (أي المثقف) أداة (وسيلة) وهو مضمون الرسالة ، وهو ناقل لها مصدراً، عبر منافذ الوعي الذي يملكه ، والذي يضعه من خلال الإبداع الفكري ، وهو منتج للأفكار ، سواء كان المثقف ينتمي الى نوع خاص من الثقافة أو ما يطلق عليه بـ (الانتسلجنسيا)* او خارج هذه التسمية .

ويختلف مفهوم المثقف باختلاف وتطور المجتمع وتقدمه ، ففي المجتمع الغربي ، حدد روبرت مرتين (R.Martin) المثقف : بانه الانسان الذي يتعامل مع القضايا الانسانية والمشكلات التي يعيشها افراد مجتمعه باسلوب معرفي متخصص[٢] فيما ادورد شيلر (Shiller) يعرف المثقف : هو الذي يخلق الافكار والرموز ويحدد مضمونه [٣] وهيربت بلومر (Herbart) فيحدد المثقف[٤] : هو ذلك الفرد الذي يكون ايدلوجية الحركة الاجتماعية ويرى بنت بيرجو المثقف هو

((١) د . عدنان أحمد مسلم : محاضرات في الانثريولجيا الثقافية . ط١، مكتبة العبيكان . (السعودية ٢٠٠١) ص ١٦٤.

* الانتجلنسيا : كلمة تتداول خارج اطارها الفكري والاجتماعي للإشارة أحيانا الى مجمل المثقفين ، واحياناً للدلالة على نوع خاص من المثقفين ، وهي تشير اولاً الى نوع من أرستقراطية المثقفين تضم فتسمي الافكار والكتب والمقالات الذي يكونون الرأي الثقافي ويكتسبون سلطة تجعلهم اعيانا (جمع عين بالمجلس) ثقافين للمزيد ينظر د. عبد المنعم حفظي.المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، مصدر سبق ذكره، ص١١٦.

(2) د.معن خليل عمر: المثقفون في المجتمع : مجله دراسات عربية العدد ٦٠٥ ، دار الطليعة (بيروت ١٩٩٠) ص ١٢٥

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٥.

(٤)المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٥

الذي يملك الثقافة الادبية والفنية والمعرفية المبنية على القيم الجماعية لعمله الادبي والفني .

وباستثناء التعريف الاخير لبنت بيرجو ، الذي يركز على امتلاك المواهب الادبية والفنية ، فان الفكرة الرئيسة لورود التعاريف الذي ذكرت ، انما نبحث في اليات النشاط الفكري والعقلي التي يوظفها المثقف ليكون لنا الدور الذي يمكن ان يلعبه في دائرة النقد الاجتماعي العام والخاص .

ان فعالية المثقف في المجتمع ، تتحدد عبر عوامل مختلفة ، منها الموضوعي ، النظام السياسي القائم ، وطبيعة العلاقات الاجتماعية المهنية والوعي الاجتماعي الراهن ، ومنها الذاتي ، الوضع الشخصي ، مستوى الوعي الذاتي و طبيعة الثقافة والتخصص العلمي[١] .

اما المثقف عند غرامشي (Cramshsci) يتحدد انطلاقاً من ادائه لوظيفة اجتماعية فهو (عضوي) في علاقتها المباشرة بالفئات الاجتماعية التي تسيطر على الاقتصاد وذلك من خلال ادائه لوظيفة اجتماعية ، سواء في الحقل الاقتصادي او الاجتماعي او السياسي ، او من ناحية اخرى ، كون المثقف تقليدي وعلاقته بالفئة المسيطرة غير مباشرة . معضويته تنتمي الى طبقة اخرى رحلت تاريخيا[٢] وهذه المرحلة التاريخية المنتمية للادوار ، فاعلة ، ستصبغ الفعل بأثارها ، فالفعل الذي يقوم به المثقف وهو ينتمي انتماءاً عصويا الى حركة كبرى ، هي انتاج الحضارة العربية والاسلامية . كما يرى عبدالاله بلتفريز (كان مثقف بغداد ، والبصرة ، والكوفة ، والقاهرة ، وتونس ومراكش ، وقرطبة وأشبيلية لحظة حركة صعود تاريخي حضاري نحو الشفوف والعالمية كان صانعا من صناعتها ، ناطقا رسمياً بها ، وكانت بيئة ذلك الصعود حافزا مميزا لتنشيط مساهمته في انتاج تراكم

---

(١) د.هشام بشرابي : مقدمات الدراسة في المجتمع العربي

(٢) يسرى مصطفى : ملاحظات حول المثقف والسياسة الثقافية ، غرامشي وقضايا المجتمع المدني ، ندوة القاهرة ص ١٠٣ ط١ مركز البحوث العربية (القاهرة . ١٩٩٩)ص٢٢٣.

علمي ، كان أثمن ما قدمته حضارة العرب والمسلمين في الحقبة الفاصلة بين الثقافة الاغريقية والثقافة الاوربية)[١]

وهنالك جيلان من المثقفين [٢] هما:-

الجيل الذي اتخذ الادب وسيلة الى العيش والثروة والحظوة عند الكبراء وأصحاب السلطان وعند الاغنياء والموسرين مهدرا في سبيل ذلك كرامته وحريته ورأيه وشعوره ايضاً ، ويذهب الاحتماعي الفرنسي ديمون أروني (Diemon Iroony) الى وصف حاد للمثقفين عندما يقول (لقد ظل المثقفون طوال التأريخ يحذفون من يقدم لهم قوتهم اليومي ، لقد ظلوا دائما رفاق رجال الدين ، طالما ان رجال الدين ، هم المسيطرون على الحكم ، ثم خدموا الحكام الزمنين ، حين استطاعوا أن يستحوذوا على السلطات ، بهذا يكون المثقفون من الناحية الاجتماعية عاله على من يقدم لهم الخبز وهم الكنيسة او الاثرياء او الدولة [٣] اما كارل مانهايم (Kral.Manhiw) المنظر الاجتماعي فانه يرى في المثقفين انهم في مسيرة التاريخ اكثر الناس عرضة للخيبة والفشل بسبب تشردهم وعدم ارتباطهم في مجتمعاتهم [٤] فيما يرى ادورد وشيلز (Addward) ان المثقفين قد بحثوا في جميع المواضيع وطرقوها ولكنهم قد نسوا أنفسهم [٥]

اما الجيل الثاني فهو الذي آثر الحرية والكرامة على كل شيء ، فلم يتخذ الادب سبيلاً الى القوت ولا الى الثروة ، ولا الى الحظوة ، وانما اتخذه سبيلاً الى لذته العملية ، والى ايقاظ الشعور وتنمية الشعب الى حقه وواجبه وترقية الذوق واذاعة الحياة العقلية الجديد ة [٦] .

وإذا ما اخذنا بتقسيم الأخير فان ما تجسد في حياتنا الثقافية من توافر الجيلين الثقافيين في العراق فأنه يبدو جلياً ، الصورة التي عكسها الجيل الاول الذي

---

(١) د. عبد الاله بلقزيز : نهاية الداعية ، الممكن والممتنع في ادوار المثقفين ص١٩.

(٢) شوقي جلال : الفكرالعربي وسيويولجيا الفشل ، ط١ ، مكتبة مدبولي(القاهرة ، ٢٠٠٢)ص ١٠٥

(٣) د. معن خليل عمر ، مصدرسابق ذكره . ص ١٣٢.

(٤)المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٢

(٥)المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٢.

(٦) د . شوقي جلال: الفكر العربي وسيوسولحيا الفشل ، مصدر سابق ، ص ١٠٥.

اصبح مطيه للفكر الفاشي الدكتاتوري الذي حكم العراق ، ونذر المثقفون من الجيل الأول كل قواهم واقلامهم في خلق الصور والتخيلات التي عبدت النظام ألصدامي ، وجعلوه سبيلاً للثورة والجاه على حساب الشعب ومحنته ، فيما فرز الجيل الثاني صورة زاهية عن الأدب الذي اتخذ العزلة حيفا ، والهجرة بحثاً عن الحرية ، ومنهم عن دفع ثمن ذلك صيانة في سبيل المحافظة على الكرامة الإنسانية والحرية والقيم التي وجدت لخدمة الإنسان.

و يتباين دور المثقف بسبب طبيعة المجتمعات وتقدمها (ففي المجتمعات البدائية يمثل السحرة وكهنة المعابد والشعراء وحفاظ النسب هم مثقفو المجتمع ، فيما يمثل العرافون (العوارف) وهم يمثلوا مثقفيه ، وهم عقلاء العشيرة يتبعون فيها ، ولهم عقول راجحة ، وتفكير عميق واطلاع واسع على العادات ،بحيث يتفق الرأي على الثقة بهم والاطمئنان الى أرائهم عند جميع أفراد العشيرة ، وتجمع الكلمة على إمامتهم حكاما يخضعون لأحكامهم ،فالعوارف على هذا الاعتبار حكام صلح وجزاء للبدو ، وليس لهؤلاء الحكام ثقافة او دراسة، فأن مدرستهم الصحراء وثقافة العوارف تكون من التجارب ولهم ألمام كاف بالانساب ومعرفة واسعة بأصول العشائر وفروعها ولهم طرق واساليب خاصة بالنظر الى القضايا العويصة[١]

أما في المجتمع القروي فهناك المثقف بالخبرة التي اوتي حظاً من المعرفة العامة حيث تتشكل وتتطور خبرة الممارسة اليومية، او من خلال خبرة الصراع مع الحياة المعيشية ، وهذا القدر المعرفي الذي يتح له توضيح قضايا المجتمع ونقده ولكنه اسير مجتمعه المحلي مبدعاً في اطاره، راغباً في نقده مساهماً في تغييره، واعياً ليس فقط في مصالح الفئة الاجتماعية التي يتنمي اليها. وأنما يكون واعياً لمصالح الفئات المتناقضة مصلحياً معه [٢]

ويحاول د. معن خليل عمر ان ينفذ الى مفهوم المثقف، من خلال تفكيكه لنماذج متنوعة ومتباينة وعلى الاشكال الاتية[٣] :

([١]) د. معن خليل عمر ، مصدر سبق ذكره ص ١٢٠

([٢]) عبدالجبار الراوي : البادية ، دار دجلة للطباعة والنشر . بلا ، ص ٢٣٦.

(٣) د.معن خليل عمر، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٠.

اولاً: المثقف المذيع، الذي يعلق على افكار ، واراء غيره، دون تقييمها او نقدها او تثمينها او التعليق عليها، مثل المعلم والمدرس، والتدريسي الجامعي فهو يشبه (المذيع الذي يقرأ نشرة الاخبار).

الثانياً: المثقف المقيم، الذي يعلق على أفكار غيره عن طريق ابراز ايجابياتها وسلبياتها ومقارنتها مع الافكار الاخرى او إعطاء البدائل لها، او تقديم اضافات اليها مثل الباحث العلمي.

ثالثاً:المثقف الجمآعة، الذي يجمع المعلومات والبيانات وينشرها على شكل مؤلف دون تحديد او تنظير مثل المؤلفين والمترجمين في الكتب المدرسية الجامعية في الوطن العربي.

رابعاً:المثقف الناقد،الذي يكون متخصصاً بموضوع نقده فيوجه سهامه له، من اجل تقويضه، مع محاورته ومساجلته لاثرائه واغنائه، وكشف نقائضه وعيوبه ليتجاوزها ميزة المثقف الاخير هو انه اكثر خبرة وعمقاً في ثقافته المتخصصة.

خامساً: المثقف المبدع، الذي يقدم عطاءاً جديداً مضافاً لما يقدمه المبدعون قبله المثقفون مازالوا غارقين في سباتهم الأيديولوجية، ولم يكن، نغمياً، كما يذكر الدكتور علي حرب ولكنه يرى ان ثمة مثقفين عرب اخذوا يتكاملون مع ذواتهم بصورة نقديه وخرجوا على بداهة كونهم مثقفين منوطاً بهم توجيه الرأي العام [١]، فالجمهور والحاكم والمعرفة ، تمثل تشكل دائرة المثقف العربي كما يذهب عبدالاله بلقزيز [٢] وهذا الجمهور سواء العام او الخاص تكون في العالم العربي عبر القرن العشرين وحتى اليوم وسط ظروف وشروط ذاتية وموضوعية شكلت اطاره الاجتماعي ورزقه المعرفي[٣] ان الثقافة حيازة ابداعية وبضاعة سلعية تزداد من استعمال ولا تستهلك

---

(١) د. علي حرب : أوهام النخبة او نقد المثقف ، ط ٢ ، المركز الثقافي العربي ، (المغرب، ١٩٩٦) ص٢٧.

(٢) عبدالاله بلقزيز ،مصدر سبق ذكره ،ص ١٧.

(٣) خليل احمد خليل : سيسيولوجيا المفهوم السياسي الديني في الشرق الاوسط ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (دار الفارس بيروت ،٢٠٠٥ ،ص ١٩) .

ولاتقبل الاحتكار الامر الذي هو حال العلم والفن والادب[١] والمثقف هو الوسيط والناقل لوعي المجتمع الى مراحل متقدمة من خلال انتاج افكار جديدة او مزيل لعلائق تؤخر الراي ، او فكار تعيق النمو وهو عقل المجتمع ولسانه وقلمه كانت في زمرة العلماء وورثة الانبياء [٢]

(١) مدني صالح: نظرية الاوساط والتمدد من التشكيل والتعميم الى المثال والوجود ، مجلة افاق عربية ،العدد ٣- ٤ دار الشؤون الثقافة العامة بغداد ١٩٩٩ ،ص ٥٠.

(٢) د.عبدالاله بن قزيز: نهاية الداعية مصدر سابق ص ١٣.